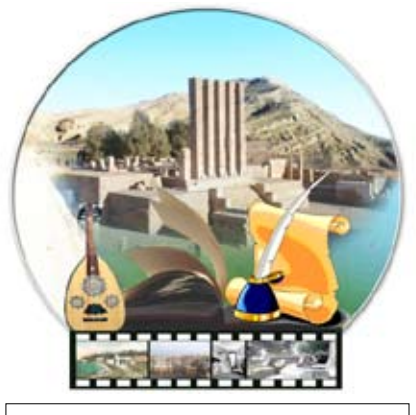

إشراف /فاطمة رشاد

نجل الشاعر الراحل غازي القصيبي: أبي كان يجد نفسه في الأدب

بروكسل/متابعات:

في حوار أجراه الصحافي محمد الجمعي من صحيفة (الحياة) اللندنية، قال سهل القصيبي الابن البكر للراحل الدكتور غازي القصيبي، إن والده الوزير والشاعر الكبير كان يجد نفسه كأديب أكثر من أي شيء آخر، ولم يكن يهتم كثيراً بمنتقديه، كما كان مقتنعاً بأهمية تقليل اعتماد الدولة السعودية على العمالة الوافدة.

وأضاف نجل القصيبي وهو رجل أعمال وله خبرة بمجال التسويق: أبي كان رجلاً متديناً، ومنذ صغره كان يحرص على ختم القرآن الكريم في شهر رمضان من كل عام، وكان أيضاً متعمقاً في الفقه، ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، كان شبه موسوعة في التاريخ الإسلامي، وكان لديه عدد كبير من كتب تفسير القرآن بعضها نادر جداً.

متابعاً: فكر أبي في كتابة تفسير للقرآن الكريم، ولكنه غير رأيه فيما بعد، وحين مرض لم يشتكِ قط، إنما اعتبر المرض بلاء من اللّه وتقبل الأمر بإيمان تام.

كمال قرور ونهاية المتن الروائي الجزائري

(سيد الخراب) نص روائي جريء يقف على حواف صفحة جديدة في الكتابة الروائية

كتب/ د. عاشور فني

قراءة مفتاحية

(سيد الخراب)، رواية كمال قرور الجديدة، تستدعي وقفة خاصة، ذلك أن ضرباً جديداً من القول الأدبي يقتضي ضربا جديدا من الممارسة النقدية. كما أن جيلاً جديداً من الكتابة الإبداعية يستدعي ضربا جديدا من الكتابة النقدية. كتابة نقدية تبتدع أدوات جديدة تتجاوز ما هو سائد من نقد النص الأدبي وتنفذ إلى نقد النص الثقافي، فالنص الأدبي نفسه إنما هو ضرب من ضروب النقد للنص الثقافي السائد. وفي الرواية موضوع هذه المقاربة، يتأسس المتن الروائي على نص ثقافي قديم فيما يتصدى لنقد المتن الثقافي السائد.

المتن الروائي والمتن الثقافي

تقوم هذه القراءة المفتاحية على فرضية النصين: النص الحاضر والنص الغائب. النص الحاضر هو المتن الروائي، أما النص الغائب فهو المتن الثقافي، المعلن أو المضمر، الذي يتأسس ويشتغل عليه المتن الروائي. وهو النص الذي يؤسس وعي الروائي ووعي القارئ والناقد معا. تقوم الكتابة النقدية على كشف العلاقة بين المتنين ورصد فعل البنية الثقافية في المتن الروائي، وبالمقابل، رصد حركة النص الحاضر، المتن الروائي، وفعله في البنية الثقافية، بنية الوعي.

يتحكم النص الأدبي في سلوك أبطال الرواية، أما النص الثقافي فيحرك سلوك الأبطال وسلوك القراء والكتاب، نقادا ومبدعين، معاً. من هنا تؤسس الرواية لخلخلة النظام السائد، بكشف آليات استمراره ورصد حركتها ومتابعة مساراتها وفضح الأطراف الفاعلة فيها بمن فيهم القارئ والناقد نفسه. النص الثقافي جزء من نسق شامل يتجاوز المتن الروائي وقراءه ونقاده.

في سيد الخراب تظهر جمهوريات الخراب وممالكه في خلفية المتن الروائي باعتبارها نصا آخر، نصا غائبا، نصا يلخصه ويكثفه ويختزله ويكشفه نص غير أدبي لكنه نص تأسيسي في الثقافة العربية. نص ابن خلدون، نص ثقافي بامتياز، نص مغيب في الحياة اليومية لكنه حاضر في الوعي الجمعي وفي الوعي الفردي: وعي الروائي والقارئ، ووعي جمهور الروائيين والنقاد والشعراء وجمهور القراء والصحافيين والساسة. وعي الحكام الحاليين ووعي المعارضين لهم بكل اختلافاتهم. هذا النص يتعلق بحقيقة اجتماعية سياسية ماثلة في الحياة اليومية للجماعة. جماعة الواقع وجماعة المتن الروائي. يتمثل هذا النص في فصل من مقدمة ابن خلدون: في أن الظلم مؤذن بخراب العمران.

آلية استدعاء التراث: استحضار النص الغائب

شاعت آلية استدعاء التراث في الكتابة الأدبية، منذ أعلن أدونيس النص الصوفي مصدراً من مصادر الحداثة الشعرية العربية، لكن ذلك الاكتشاف النير أصبح بمثابة كارثة للثقافة العربية لأنه برر لجمهور المبدعين غير المثقفين أن يغرفوا من منابع الغنوصية دون رؤية ثقافية أو سياسية. كما كان كارثة منهجية لأنه أسس لآلية استدعاء النص السلفي المنغلق وطرحه باعتباره مشروعا شاملا للمستقبل.

وأسس الاكتشاف الأدونيسي أيضاً لاستدعاء نص الدراويش والقوالين في فنون أخرى مثل المسرح. وانتهت فترة الحداثة العربية مع مطلع التسعينيات من القرن الماضي إلى مرحلة كثرت فيها حلقات الدراويش وجمهور المنشدين جماعيا لا يمكن أن تميزهم عن جمهور المتلقين. انخرط الجميع في وصلة تهجد جماعي يغيب فيها الوعي ويحضر الصراخ والعويل يعلي من شأن اللاوعي.

في الكتابة الروائية تجلت هذه النزعة في مظهرين: أولهما استحضار الشعرية باعتبارها تقنية تعبيرية بسيطة، ورافق ذلك ظهور نجوم الشعراء الإعلاميين الذين يتخلون عن الشعر فجأة وينخرطون في نص روائي يقوم أصلا على الشعرية اللفظية باعتبارها تقنية تعبيرية بسيطة تجتذب جمهور القراء المنهكين بالنص الأدونيسي المعقد، والذين اعتراهم السأم من نص نزار البسيط، أو نفرهم نص درويش المثقل بالقضايا المصيرية أو بالمتن الإنجيلي التوراتي، والهاربين من خيبة قصيدة النثر. هؤلاء جميعا وجدوا ضالتهم في قراء الرواية البسيطة القائمة على الشعرية التعبيرية ما فتح الأفق لتحول طائفة من الشعراء الذين خيبهم الجمهور إلى الكتابة الروائية آملين تحقيق نجاح جماهيري، لم يتح لهم بعد نزار ودرويش.

والمظهر الثاني يتمثل في رواية الإثارة. الإثارة الدينية والطائفية والجنسية والسياسية أو الاجتماعية لا فرق. رواية الإثارة تقوم كلها على درجة عالية توخي عنصر الفتنة وتحريك النوازع غير العقلانية على خلفية شبه فلسفية تزعم نهاية الإيديولوجيا، وتعلي من شيء مثل (سحر الحكي) معزولا عن أي مشروع، وتنتصر للراهن الرث وللسائد المغلف بشيء من الواقعية السحرية التبريرية. دعم ذلك ظهور روائيات يجهرن بالفتنة في فضاءات اجتماعية سياسية يبدو فيها ظهور المرأة وراء مقود السيارة فضيحة أخلاقية. ما يسمح به في الساحة الروائية التي تزين الواقع أو تبرره أو تبرز حواشيه الرثة يتجاوز بعصور ما يسمح به في الشعر أو في الخطاب السياسي أو الإعلامي العربي. تقف وراء ذلك كله فضائيات متخصصة ولجان مسابقات مدعومة بالدولار. الشهرة والمال وراء تحولات كثيرة في المتن الروائي.

(سيد الخراب) تقطع مع هذين التقليدين: تقليد استحضار الشعرية باعتبارها تقنية تعبيرية بسيطة. بل تلجأ إلى أسلوب يقوم على الاقتصاد اللغوي بامتياز: الأسلوب الصحفي. والجرأة كلها هنا: الوقوف في وجه تيار الغنوصية الثقافية السائد في الشعر والرواية والانتصار بوعي لتيار العقل والوعي الفادح بالواقع ومآلاته.

وتقليد الإثارة السحرية التبريري الذي يهادن السائد تحت غطاء الجمالية المحايدة. في مقابل ذلك تستدعي (سيد الخراب) النص الثقافي المغيب، نص ابن خلدون، وتستدعي النص الشعري المعاصر، المعجون بلحم الواقع الحي المعبر عن أوجاعه الجسدية والروحية، نص الشاعرة الفلسطينية الشابة، فاتنة الغرة، ويستدعي النص الصحافي، والحديث الشعبي، حديث المقاهي وربات البيوت والمصلين في المساجد والنساء الحوامل.

تلك قطيعة أساسية مع المتن الروائي السائد، متن الشعرية التعبيرية البسيطة ومتن الإثارة والفتنة والتبريرية السحرية. نحسب أن هذه القطيعة تؤسس لنهاية سيادة المتن الروائي بملامحه التي استعرضناها وتبشر بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية. يستدعي نمطا جديداً من الممارسة النقدية بالضرورة.

المتن الروائي والمتن القيمي: المبدأ والمآل

يقوم نص (سيد الخراب) على قيمتين عظميين في الأدب وفي الثقافة وفي الحياة العربية المعاصرة. قيمة المبدأ وقيمة المآل.

قيمة المبدأ قيمة ثقافية كبرى تؤسس قاعدة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأدبية أيضاً: الظلم. تلك القيمة المؤسسة توازنها قيمة كبرى أخرى تؤسس لمآل حياة الجماعة كلها: الخراب.

تطرح الرواية أن الجماعة التي يكون الظلم فيها قيمة عظمى، قيمة مؤسسة سيكون الخراب مآلها، مآل الجماعة كلها، لا مآل فئة من فئاتها. يكتفي النص الأدبي بالبحث في أشكال الخراب وتجلياته ومآلاته الصغرى والكبرى، بعد أن يحيل في بدايته إلى النص الثقافي المؤسس للوعي بالقيمة العظمى الأولى، قيمة المبدأ، أي الظلم باعتباره قيمة مطلقة للحكم السائد وقيمة لأي حكم مطلق.

نص ابن خلدون نفسه يتكئ على حكاية. حكاية البوم العاشق والبومة العروس في مملكة تقوم على الظلم. البومة رمز القبح وأيقونة الخراب وهامة الثأر في التراث العربي يرد ذكره في فصل تحليلي لابن خلدون الذي تتكئ عليه رواية (سيد الخراب). البومة تطلب قرية خربة مهرا لعرسها. يعدها العريس الموعود بعشرين قرية خربة، إذا استمر عهد الملك المبجل... سيد الخراب.

قيمة المآل، (الخراب)، ارتفعت إلى مصاف القيمة الجمالية التي تغطي أفق الرؤية كاملا. الخراب باعتباره واقعا قائما، وباعتباره نظاماً سائداً (نظام الفساد) وباعتباره مآلا للجماعة كلها، وباعتباره آلية للتغيير. لا يمكن تغيير الواقع إلا عبر خلخلة الأسس التي يقوم عليها: أي التخريب. هذا يبدو شعارا مشتركا بين جميع الشركاء، ولكنهم يضمرونه، ويستخدمه كل طرف لصالحه فقط. رفض ظلم الآخر، والثورة عليه ثم الاستحواذ على هذا الآخر وتسليط الظلم عليه أي عودة قيمة الظلم مرة أخرى. لا فكاك إذن.

الواقعي والغرائبي

ينطلق نص كمال قرور من فرضية بسيطة: أن الواقع العربي في العصر الراهن أصبح أكثر غرائبية مما يستطيعه أي خيال. إن على مستوى صورة هذا الواقع، أو على مستوى الحوادث، أو على مستوى النماذج البشرية التي يعج بها، أو على مستوى القيم التي تحركهم، أو على مستوى المسارات التي تتخذها مصائرهم.

يكتفي المتن الروائي برصد الأفعال والتحركات على مستويات عدة. على مستوى جزئي: المستوى الفردي وملابساته، وعلى مستوى كلي: مستوى الجماعات الفئوية ومستوى الجماعة الكبرى. براعة الكاتب هنا هي إمساك خيوط السرد ومدها من مستوى إلى آخر ليتواصل السرد، وربط المتن الروائي بالمتن الثقافي ليتواصل الوعي. لا ليتم تغييبه.

قوة هذه الرواية تكمن في أنها تحافظ على وعي القارئ كاملا أثناء متابعة القراءة، لا تطفئ بصيرته لتخدعه بلحظات استمتاع عابرة يعود بعدها إلى واقعه البائس. قوتها، أنها تحافظ على الوعي كاملا وتزيده وضوحا وألما مع زيادة متعة السرد بالاستمرار في القراءة. تنظيف الجرح دون مسكنات موضعية ودون مخدر شامل تلجأ إليه الرواية العربية عادة، وهو افتراض جمالي مؤداه أن النص الروائي لا يعالج الواقع كما هو بل يخلق واقعا جماليا يتجاوز الواقع الراهن.

خلط الأزمنة

هناك زمنان متفاعلان في رواية (سيد الخراب). زمن المتن الروائي المتحرك، وزمن المتن الثقافي الساكن، بل الدائري الاجتراري. فالمجتمعات الخلدونية تتخذ مسارا حضاريا دائريا، تبدأ من البداوة إلى الحضارة ثم الانهيار، مع تداول بين مركز الدولة وأطرافها.

(سيد الخراب) تعلن أن ما يقرأه القارئ هو تاريخ مستقبلي، لما يعيشه القارئ الراهن للرواية، توصل إليه فيلسوف عاش في فترة سابقة للخراب الذي يسبق المتن المقروء.

في سيد الخراب حركة الزمن دائرية، ولكن متشعبة عبر مصائر الأفراد. ينتقل التوتر بسبب الظلم من فرد إلى آخر ومن فئة إلى أخرى وصولا إلى فئة الحكام أنفسهم (سلالة بني الأغلب) فيعلن الحاكم الأعلى (سيدنا) استقالته من الحكم ومن السلالة، والعودة إلى أحضان الإنسانية وانشغاله بالشأن الإنساني البسيط، اللهو مع عروسه (نطفة). والانغماس في لعبة النرد الشعبية.

الحكاية وحكاية الحكاية

يفتتح السرد بحكاية بسيطة من حياة المؤلف. يلخصها ثم يرصد تطوراتها عبر حقب زمنية تؤرخ لتاريخ الجزائر المعاصر من فترة نهاية الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي، منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، مرورا بمرحلة العنف والاضطرابات السياسية العنيفة في التسعينيات وتعثر التيارات الوطنية والديمقراطية المبشرة بالدولة الحديثة، وصولا إلى مرحلة إعادة البناء والرخاء المالي في ظل تعميم الفقر والشعور بالتهميش المزدوج: تهميش الشعب في الداخل وتهميش المجتمع من طرف المؤسسات وتهميش الدولة على المستوى الدولي.

آلية التغريب والتأليف

هذه الوضعية تمثل حالة أي بلد من بلدان ما يعرف بالعالم الثالث وبالأحرى تمثل حالة الجماعة العربية الإسلامية التي يشملها المتن الثقافي المشترك. يعطيها كمال ملامح خاصة جداً من خلال آلية طبقها ببراعة. آلية التغريب والتأليف. تغريب الأسماء المألوفة وتأليف الأسماء الغرائبية.

فاجأ كمال أصدقاءه، كما فاجأ القراء بأسماء أصدقائه المعروفين في الساحة الإعلامية والأدبية باعتبارهم أبطالا في روايته. يذكرون بالاسم واللقب والوظيفة الحقيقية. كما فاجأ القراء والمثقفين بأسماء أعلام في الثقافة العربية وقد أخذت أشكالا أخرى، ابن خشد، الإيخجاني إلخ.

جدلية الثقافي والأدبي

تلعب آلية التغريب والتأليف هذه دورا أساسيا في العمل السردي: دمج النص الثقافي في المتن الروائي ومزجهما بإحكام. كل البراعة كانت في هذا الدمج وفي ذلك المزج بحيث لا يطغى النص الأدبي على النص الثقافي فيخفي القيمة العظمى الأولى، ولا يطغى المتن الثقافي على النص الأدبي فيخفي القيمة الأدبية للرواية.

تنتهي هذه المغامرة إلى علاقة جدلية من الطراز الأول: تأسيس الأدبي على الثقافي وإقامته فيه، وبناؤه على أساس منه، وفي الوقت نفسه نقض الثقافي الراهن بالأدبي وكشف عيوبه به وفضح توضعاته في الواقع الحالي، وتجلياته في سلوك الجماعة وفي سلوك شخوص المتن الروائي (الحكاية) وشخوص الواقع المعاصر (حكاية الحكاية).

الكتابة الإبداعية وأزمة الاتصال الثقافي

كشف هذا النص صعوبة جمة في إيصال المشاريع الإبداعية الجديدة إلى الفضاء العام بسبب نوعين من الصعوبات:

يتعلق النوع الأول ببنية الساحة الاتصالية نفسها، فهي قائمة على ممالأة القوى المالية المسيرة والمنحازة لقيم محددة والمدافعة باستماتة عن الرموز المكرسة في الواقع القائم، ما يحرم النص الجديد الخارق من النفاذ عبر الحصون المنيعة التي أقامتها تلك القوى لحراسة نفسها.

ويتعلق النوع الثاني من الصعوبات ببنية الساحة الإبداعية نفسها. فقد تخندق مجموعة من الكتاب في الفضاء الإعلامي مستغلين حاجة الإعلام إلى الأسماء المعروفة لتسويق منتوجه، فاستولوا على الساحة وأقاموا نوعاً من شبكات تبادل المصالح الإعلامية والأدبية تسد الطريق أمام أي تجربة لا تخضع لنفس معيار التبادل، فما بالك بالنصوص التي تنسف القيم الكبرى التي تمثل قاعدة الشرعية التي يستمدونها ضمن ذلك الواقع الأدبي المهيمن.

كثير من النصوص الإبداعية التأسيسية تمر الآن دون أن تلقى حقها من القراءة والنقد بسبب هذه المعضلة، معضلة الاتصال الثقافي.

(سيد الخراب) حظيت بقبول طيب في الوسط الإعلامي، ولقيت اهتماما كبيراً من الكتاب المبدعين أيضاً. غير أن القراءات ظلت تدور في فلك السائد والمعروف والمقبول إعلاميا واتصاليا.

النص الإبداعي يصنع قارئه وناقده أيضاً. فالنص الذي ينهي شكلا معينا من الكتابة الروائية ويؤسس لشكل جديد من الكتابة، ويتطلب ممارسة نقدية جديدة تتجاوز النقد الجمالي السائد إلى نقد إبداعي ثقافي، يتطلب بدوره نوعا اتصاليا جديداً، يتجاوز حدود الاتصال الثقافي القائم على الصفحات الأدبية في الصحف اليومية، إلى اتصال يقوم على الحوار والنقاش المباشر، والحي، وأيضا من خلال الشبكة العنكبوتية.

صرح الروائي كمال قرور نفسه أنه استشار بعض الشخوص الذين تضمنهم متنه الروائي. في الرواية أيضا حوار مع النصوص الثقافية الكبرى في الثقافة العربية، والحوار تقنية أيضا في المتن الروائي. هل يكون الحوار أيضا بعداً من أبعاد الاتصال الثقافي؟.

فلاش ثقافي

د. زينب حزام

دعوة إلى توثيق ثقافتنا الشفاهية الخصبة

توجد في اليمن ثقافة شفاهية خصبة جداً، ولذلك ينتعش الشعر لدينا بشكل كبير ولدينا عدد كبير من الشعراء المميزين أمثال لطفي جعفر أمان ومحمد سعيد جرادة وعبدالله البردوني وغيرهم، كما أن لدينا تراثاً خصباً من الأساطير والملاحم الشعرية القديمة، كما يوجد لدينا في الريف اليمني العديد من اللهجات الشعبية المختلفة والتي تقوم بتوثيق التراث الأدبي شفاهياً ويتناقل هذا التراث جيلاً بعد جيل، خاصة التراث الأسطوري الشعري والقصصي.. لذا نجد من الضروري الحفاظ على هذا التراث الشفاهي وتقديمه في المناهج التعليمية وبالذات المناهج الجامعية في الأقسام الأدبية.

ويمكننا ترجمته إلى اللغات الأجنبية، حيث أنني أتذكر، أنني قرأت الشعر اليمني القديم في المكتبة الرئيسية في موسكو باللغة الروسية. وهذا ما يدعو إلى ضرورة ترجمة القصص والحكايات وألوان المسرح الغنائي والشعري إلى اللغات الأجنبية حتى يطلع العالم على تراثنا الثقافي.

والأهم من ذلك أنه يجب تشجيع الكتاب والأدباء اليمنيين على ترجمة أعمالهم الأدبية إلى اللغات الأجنبية، وتشجيع قيام المهرجانات الثقافية والفنية المحلية والدولية.. ولا ننسى هنا المهرجانات السينمائية اليمنية وهي بطبيعة الحال محدودة جداً، رغم وجود حركة سينمائية جيدة، والفضل يعود إلى حماس الشباب اليمني الذي يقوم على التصوير الرقمي. وهم مبهرون إذ لا يعتمدون على الإنتاج الحكومي أو حتى جهود القطاع الخاص، بل إن شبابنا اليوم أصبح يعمل على إعادة بناء السينما اليمنية رغم أن معظم دور السينما تعرضت للبيع وتحويلها إلى محلات تجارية، وقد قام هؤلاء الشباب المتحمسون بإعادة بناء السينما اليمنية وإنتاج بعض الأفلام القصيرة وتوزيعها بجهودهم الذاتية.

ويمكننا القول وبشكل عام وعلى مدى العقد الأخير أن الموسيقى والسينما اليمنية يشهدان انتعاشاً كبيراً، فالموسيقى أيضاً لدينا شديدة الثراء بسبب التنوع الثقافي في مختلف محافظات الجمهورية اليمنية، رغم تشابه ثقافات بعض المحافظات اليمنية.. وهناك ثورة موسيقية من قبل بعض الشباب اليمني المتمرد على الموسيقى القديمة واستخدام أدوات موسيقية حديثة.

إن الثقافة الشفاهية اليمنية خصبة جداً، لذا نجد من الضروري توثيقها وحمايتها من الاندثار خاصة بعد الغزو الثقافي الأجنبي الذي بدأ يسيطر على عقول الأجيال بعد الانفتاح الثقافي والإعلامي للقنوات الفضائية والتي أصبحت في كل بيت يمني وأحبها الجميع.

أقصوصة

فائز شناني

(مفعول به)

صاح المفعول به وهو يشير نحوي : إنه الفاعل.. إنه الفاعل..

خطر لي أن أهرب .. لكنني تذكرت أنني مفعول به ثان

همس حائر

فاطمة رشاد

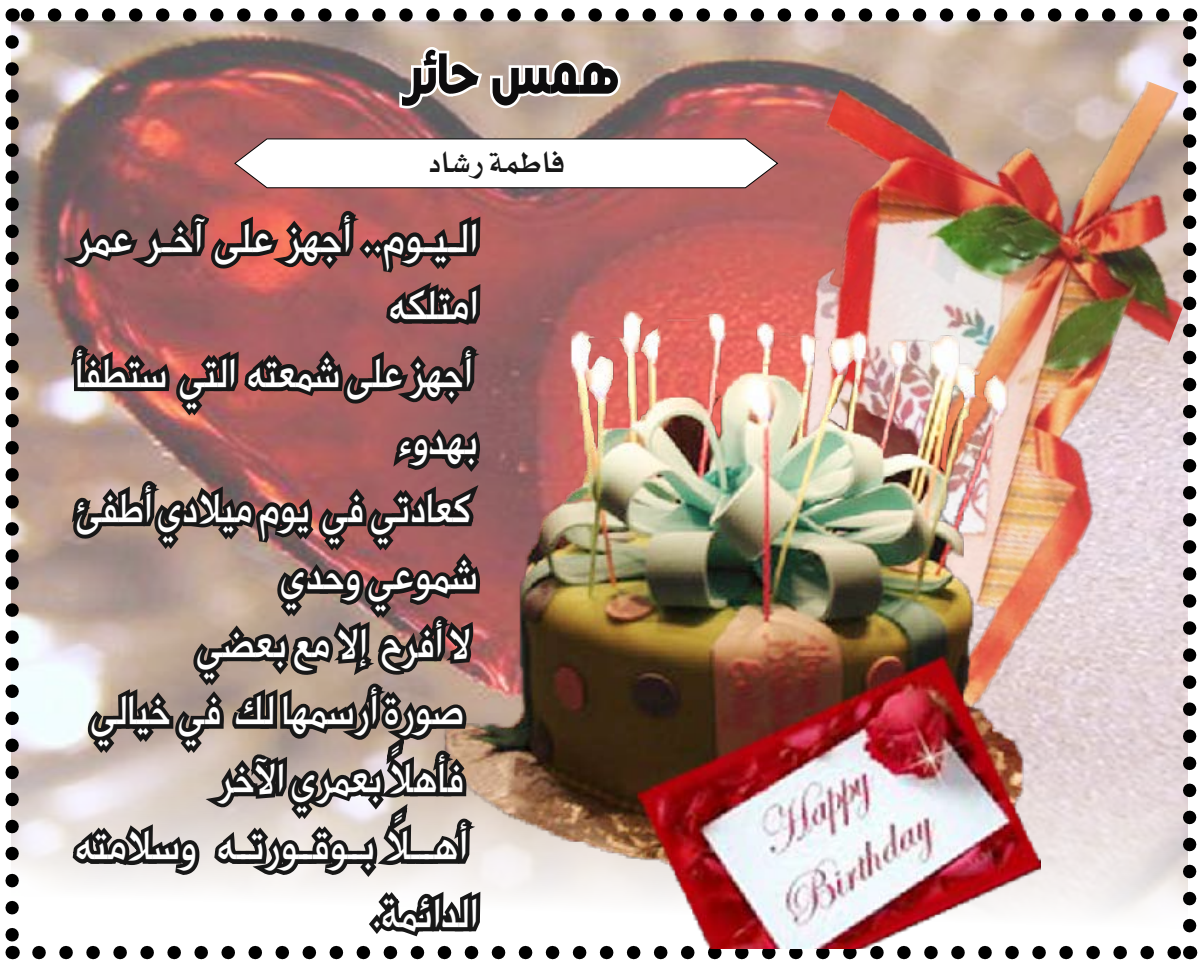

اليوم.. أجهز على آخر عمر امتلكه
أجهز على شمعته التي ستطفأ بهدوء
كعادتي في يوم ميلادي أطفئ شموعي وحدي
لا أفرح إلا مع بعضي
صورة أرسمها لك في خيالي
فأهلاً بعمري الآخر
أهلاً بوقورته وسلامته الدائمة

أمن واستقرار اليمن مهم لأمن واستقرار المنطقة والسلم الدولي
علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية